التحرش الجنسي بالأطفال



دكتور/ محمد مرسى محمد مرسى

المعهد العالي للخدمة الاجتماعية - كفر الشيخ - مصر

تعد ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال من الظواهر الجديدة والدخيلة على مجتمعاتنا، ولا تعتبر وليدة اللحظة ولكنها استفاقت من غيبوبتها لتدق أجراس الخطر في العديد من المجتمعات الإسلامية.

مفهوم التحرش الجنسي

التحرش الجنسي بالأطفال يعني تعرض الطفل إلى مشاهد فاضحة أو صور عارية أو تعمد إثارته بأي شكل من الأشكال، كتعمد ملامسة جسده، بالإضافة إلى الاعتداء الجنسي المباشر عليه في صوره المعروفة الطبيعي منها والشاذ.

إن هذا المصطلح بثقله على مسامع مجتمعاتنا العربية والإسلامية ذات الطبيعة المحافظة، يدفعها "المجتمعات" للتعامل معها بإحدى طريقتين، التهويل أو التهوين وفي الحالتين تتعامل الأسرة بجهل تام مع الظاهرة ويفقد الآباء القدرة على تقديم النصح والإرشاد إلى الأبناء، أو حتى التعامل المفترض مع أي حادثة تحرش جنسي قد يتعرض لها أطفالهم.

والتحرش الجنسي بالأطفال شكل من أشكال الإساءة للأطفال والتي تنقسم إلى:-

أ-الإساءة الجسمية: Physicl Abuse

هي إيقاع أثر مؤلم على الجسد، تحس به الوصلات العصبية عن طريق الشعيرات الدموية المنتشرة في أجزاء الجسم، وتنقله إلى الذهن، ويرتبط به ألم نفسي إلى جانب الألم الحسي المباشر، ولذلك يتضاعف أثره، ويقوى تأثيره وأن إصابة الطفل إصابة شديدة غير عرضية- متعمدة- قد تنتج عن أي اعتداء من أى نوع يتعرض له الطفل مثل الضرب بالسياط وحشو شيء في فمه لخنق الصوت، ولكم وضرب الوجه. كذلك الدفع بعنف والرجرجة الشديدة، والركل بالرجل، كذلك القرص، والعض، والخنق، وشد الشعر، والحرق بواسطة السجائر،والماء المغلي، أو أشياء أخرى ساخنة".

وتأخذ الإساءة الجسمية أشكالاً متنوعة، ولكنها دوماً تتشابه في نواتجها، هذه الأشكال هى:

١-الآثار الظاهرة على الجلد: وتكون على شكل حروق أو كدمات أو آثار تقييد وتسلخات في أجزاء الجسم المختلفة أبرزها في الوجه آثار اللطمات واللكمات..

٢-الآثار غير الظاهرة: وأبرزها الكسور، حيث توجد أجزاء غضروفية في عظام الأطفال تسمى بدايات التعظم وهى سهلة الكسر... كما يسهل ملاحظة حالات التمزق، والالتواء،وخلع مفاصل الكتف، والكوع، والرسغ نتيجة تعرض الطفل للجذب بعنف. وهذا النوع من الإساءة عرف قديماً، ففي أمريكا مثلا وجدت حالات مسجلة اتخذت شكل الظاهرة الملفتة للنظر منذ عام ١٩٤٦ حينما لاحظ أحد أطباء الأشعة الأمريكيين واسمه كافي (Caffey) زيادة أعداد الأطفال الذين يصورهم بالأشعة السينية ويشخصون بأن لديهم كسور متعددة وضربات بالرأس.. وفي عام ١٩٦٢م أطلق كمب (Kempe)على هذه الحالات اسم (متلازمة الطفل المضروب).

ب-الإساءة النفسية (العاطفية): Emotional Abuse

هى كل ما يحدث ضرراً على الوظائف السلوكية والوجدانية والذهنية والجسدية للمؤذى مثل: رفض وعدم قبول الفرد، إهانة، تخويف، تهديد، عزلة، استغلال، برود عاطفي، صراخ، سلوكيات غير واضحة. وأشكالها هي على النحو التالي: رفض الطفل وعدم تقبيله أو احتضانه- نقص مكافأة الطفل أو حتى التعليقات الإيجابية على ما يصدر منه من سلوك جيد. تهديد الطفل وإخافته، ومقارنته السالبة مع الآخرين والتقليل من شأنه أمامهم، شتم الطفل ووصفه بأنه شيء، ودائماً ما يخطئ، وتسميته ووصفه بأسماء مشينة، لوم الطفل باستمرار ووضعه ككبش فداء في أي مشكلة قد تحدث، وهذا النوع من الإساءة دائماً ما يكون مصاحباً لنوع آخر من سوء معاملة

الأطفال مثل الإيذاء الجسمي أو الجنسي. ولا تقتصر الإساءة النفسية على الازدراء والاستهزاء أو السباب فحسب، بل تأخذ أشكالاً أخرى من شأنها قهر الطفل ومهاجمة نموه العاطفي ومن ذلك التفريق في المعاملة بين الطفل وإخوته أو الآخرين ممن يشاركونه المكان وكذلك النبذ واغتصاب حقوقه من الدفاع عن نفسه مما يحفز ظهور روح العداء والانتقام لديه ضد الآخرين.

ج-الإساءة الجنسية Sexual Abuse

هى عمل جنسي بين إنسان ناضج وطفل،ويتضمن الأشكال التالية:

-دعارة الأطفال، ومداعبة ولمس وتقبيل الأعضاء التناسلية للطفل.

-إجبار الطفل على مداعبة الأعضاء التناسلية للإنسان الناضج.

-تعريض الطفل للممارسات الجنسية بين البالغين.

-التلصص على الطفل للتلذذ بمشاهدته وهو عار أو إجباره على خلع ملابسه (تعريته).

-تشجيع الأطفال على الاشتراك في الأفلام والمجلات والمواقع الإباحية في (الإنترنت).

وتعد الإساءة الجنسية من أخطر أنواع الإساءة التي يتعرض لها الطفل وتكمن خطورتها في بقاء أثرها حتى البلوغ إذ يظل يذكرها ذلك الطفل المعتدى عليه جنسياً فتسيطر عليه مشاعر الكآبة المحرجة التي يتعرض لها في صغره، وحاله أهون بقليل من لو كان المعتدى عليها جنسياً (طفلة) لأن ذلك يؤثر مستقبلا وبدرجة أكبر في اتجاهها نحو الزواج والحمل وفكرة الارتباط بالرجل وربما أثر ذلك حتى على مدى إقبالها على الحياة.

د-إهمال الطفل: Child Neglect

رغم الصعوبة التي تواجه المهتمين بموضوع الإهمال من باحثين وغيرهم في تعريف الإهمال، إلا أنه في الغالب يقصد به التقصير في القيام بما يجب من سلوك كاستجابة تلبى احتياجات الطفل الضرورية ومن ذلك إهمال طعامه وشرابه ولباسه والعناية بصحته العامة، كذلك إهمال حاجته للاحتواء العاطفي، ومنح الحب والدفء والتدعيم الإيجابي - وحاجته للتعليم. وتعزى صعوبة تعريف الإهمال إلى تداخل السلوكيات التي تعبر عن درجته، مع السلوكيات التي تندرج تحت أنواع أخرى من الإساءة كالإساءة النفسية والوجدانية.

وتعريف إهمال الطفل هو أنه: الفشل في إمداد الطفل باحتياجاته الأساسية الجسمانية أو التعليمية أو العاطفية ومن ذلك عدم الإمداد الكافي بالطعام أو توفير المأوى المناسب أو الملابس أو الطرد من المنزل أو رفض تقديم الرعاية الطبية أو تأخيرها أو إهمال تسجيل الطفل في المرحلة الدراسية المناسبة لسن الطفل أو السماح للطفل بالهروب المتكرر من المدرسة أو التشاجر والنزاع مع الكبار في المنزل أمام الطفل. لهذا فإنه لا يمكن للطفل أن ينمو بشكل سليم في كافة مظاهر نموه المختلفة كالنمو الجسمي، والنمو العقلي، والنمو الاجتماعي، والنمو الانفعالي،وغيرها من مظاهر النمو المختلفة دون ان يتوفر له الاحتياجات الأساسية المشبعة لكل مرحلة، والمتمثلة بالمأكل والرعاية الطبية والحماية من الأخطار، ومنح الفرصة الكافية للتعليم والإمداد بالحب العاطفي، وغيرها من الاحتياجات الضرورية.

ومن خلال التعريفات والتصنيفات السابقة لأشكال أو أنماط الإساءة يتضح أنها متداخلة ومتشابكة وإلى حد كبير. فحين يتعرض الطفل لضرب- إساءة جسمية- فإن أثرها ليس جسدياً فحسب بل إنها ستترك أثراً نفسياً، قد يكون وقعه أشد من مجرد التألم جسدياً

أسباب إساءة معاملة الأطفال:

يمكن تفسير أسباب إساءة معاملة الأطفال من خلال أربعة أبعاد أو مناحي وهي: بعد طبي نفسي وبعد نفسي اجتماعي، وبعد اجتماعي موقفي، وأخيراً بعد بيئي تكاملي. والتي يرى الباحث أنها الأكثر شيوعاً من خلال ما هو متاح من أبعاد ومناحي ووجهات نظر أخرى متعددة، توفرت للباحث خلال بحثه.

أولاً: البعد الطبي النفسي: Psychiatric Approach

يعد البعد أو المنحى التفسيري من أكثر المناحي والأبعاد تفسيراً لإساءة معاملة الطفل، كما يعرف هذا البعد التفسيري بالبعد النفسي المرضي. واشتق هذا البعد من تحليل الطب النفسي للوالد المسئ، ويفترض أن الوالد المسيء لديه مجموعة من خصائص الشخصية تميزه عن غيره بأنه غير سوي. ويمكن أن يصنف في إحدى الفئات التشخيصية الطبية النفسية، مثل الفصام، أو ذهان الهوس، والاكتئاب. كما تضمن هذا المنحى الإشارة إلى أهمية تاريخ طفولة الوالد المسيء من جيل لآخر فلم يقدم أصحاب هذا البعد ذكر "روس وكولمر" تفسيراً واضحاً عن كيفية انتقال إساءة معاملة الطفل من ذرية إلى أخرى وربما يقصد هؤلاء أن للابن البالغ الذي أسيئت معاملته وهو طفل كان لديه راشدين مسيئين كنماذج يحاكيها، والأطفال يمتصون معاييرهم ودروسهم التربوية

بعمق. وفي سن مبكرة كثير من الأطفال الذين أسيئت معاملتهم يطبقون تلك الدروس على أطفالهم تلقائية وبنفس الأسلوب عندما يكبرون ويصبحون آباء.

أما المواصفات المميزة والتي تعكس شخصية الوالدين المسيئة لأطفالهم فإن

هناك أربع مجموعات للآباء صنفها (Merril) في مجموعات كالآتي:

١-مجموعة الآباء الذين تمت مواجهتهم واتضح في شخصيتهم العداء عموماً، واستنتج "ميريل" أن هذا الغضب الناتج من التعارضات والتناقضات في الطفولة ومرحلة النضج المبكر، امتدت جذوره وخبراته إلى مرحلة الشباب.

٢-مجموعة تعاني من الصرامة الإجبارية في نقص الدفء ونقص الأسباب المنطقية (البلاهة) ونقص التفكير المنطقي، واعتقاد هؤلاء الآباء أنهم يدافعون عن مبادئهم، وانهم على صواب في كل ما يفعلونه.

٣-مجموعة لديها اعتقاد قوي وإحساس بالسلبية والاعتمادية على الآخرين، وظهر عليهم هذا الإحساس الشديد بالاعتماد على الآخرين عند اتخاذ القرارات، وبدا على العديد من هؤلاء عدم النضج.

٤-مجموعة من الآباء أساءوا معاملة أطفالهم، ويبدو أنهم كانوا صغاراً، أو كان لديهم إعاقة جسدية، مما جعلهم غير قادرين على رعاية وتدعيم أسرهم.

وهكذا يؤكد هذا البعد أن شخصية كلا من الأب والأم مرتكبى الإساءة تتميزان عن غيرهما بخصائص تعبر عن عدم السواء (شخصيات مضطربة)، كذلك وجود أعراض ذهانية (شخصيات فصامية) هى جميعها اضطرابات تعد عوامل مسببة ومهيئة بدرجة كبيرة للإقدام على إساءة معاملة الطفل الذي يتعذر عليهما إدارة شؤون الأسرة ومواجهة مشكلاتها كما ينبغى.

ثانياً: البعد الاجتماعي: Social Approach

ويرتكز هذا البعد على العوامل الاجتماعية البيئية والتي تقف وراء إقدام بعض الآباء أو الأمهات أو المربين على ممارسة الإساءة ضد الأطفال. فالبيئة الاجتماعية بما تحتويه من متغيرات واعتبارات ثقافية سائدة تمارس في حقيقتها ضغوطاً نفسية تعد سبباً من أسباب إساءة معاملة الأطفال التي لا يمكن إغفالها أو التقليل من شأنها كمنحى تفسير هذه الضغوط الاجتماعية تزداد عندما يشعر الوالدان بالعجز عن مسايرة الآخرين اجتماعياً لضعف مستواهم الاقتصادي. وإلى أن العوامل الاجتماعية البيئية مثل الوضع الاجتماعي الاقتصادي، والبطالة المادية، وظروف السكن والمعيشة،

وحجم الأسرة، والآباء المراهقين، والعزلة الاجتماعية تعد من عوامل الضغط الذي يؤدي إلى سوء المعاملة.

وقد قدم هذا بعض الدراسات التي تؤيد ما ذهب إليه وهو أن مستويات العنف في المجتمع تنعكس على العلاقات الأسرية وعلى طبيعة التفاعل بين أفرادها فهي تستخدم العدوان اللفظي، والبدني كوسيلة لحل الخلافات والمشكلات الأسرية بما فيها التعامل مع ما يصدر من الأطفال من سلوكيات، وبالتالي فهي تميل إلى استخدام أنماط متشابهة في تربية أطفالها، وأن السلوك المسيء هو نتاج المشقة والانعصابات والإحباط، وترتبط المشقة بالوضع الاجتماعي للفرد.

ثالثاً: البعد الاجتماعي الموقفي: Social Approach Situational

ما يميز هذا البعد التفسيري عن غيره من الأبعاد والمناحي التفسيرية الأخرى هو تركيزه المباشر على العوامل الاجتماعية الموقفية التي يرى أنها تسهم في حدوث إساءة معاملة الأطفال، ومنها ما يتعلق بطبيعة التفاعل الاجتماعي الذي ينشأ بين الطفل ووالديه أو القائمين على رعايته، أو ذلك ا لتفاعل الذي ينشأ تحديداً بين الوالدين داخل نطاق الأسرة، والتي هي في مجملها متغيرات تسهم في حدوث الإساءة. ويعطى هذا المنحى أهمية لدور الطفل في عملية الإساءة.

ومن هنا برزت فكرة انتقائية الإساءة Selectivity Abuse التي ترى أن ليس كل الأطفال يساء معاملتهم، ولكن عادة يتم انتقاء طفل معين داخل الأسرة للمعاملة السيئة وذلك بعدة طرق منها: أن الطفل قد يكون لديه بعض الخصائص المزاجية ومشكلاته الارتقائية أى أن عدم نضج التصرفات السلوكية هي أهم ما يتسم به الأطفال الذين يتعرضون للإساءة.

ومن هذه التصرفات كثرة بكاء الطفل وصراخه المستمر وهناك مجموعة من الدراسات التي تبنت هذا البعد التفسيري والتي تؤكد على أهمية المواقف الاجتماعية المهيئة لحدوث العقاب الجسمي والإساءة للطفل عموماً.

من هذه الدراسات ما أوردها (إسماعيل، وتوفيق، ١٩٩٦م) وهى "دراسة كادوشين ومارتين Martin & Kadushin" ومن إحدى نتائج هذه الدراسات أن سلوك الأطفال والمراهقين يسهم في ترسيب الإساءة وأحياناً يكون سبباً للإساءة.

وفي سلسلة التفاعلات التي تبلغ ذروتها بإساءة معاملة جسدية للطفل تبدأ ببعض مظاهر سلوكية من الطفل يدرك الوالدان أنها بغيضة وسيئة على أنها تبلغ ذروتها بإساءة معاملة جسدية للطفل، فالإساءة وفقاً لنتيجة هذه الدراسة مرتبطة بسلوكيات الطفل.

رابعا: البعد التكاملي (التفاعلي): Approach Integrative

أصحاب هذا البعد التفسيري يفسرون أسباب إساءة معاملة الطفل إلى مجموعة عوامل متعددة ومتفاعلة، فلا يعتمدون في تفسيرهم لإساءة معاملة الطفل على عامل واحد مهما كانت درجة قوته، فإساءة معاملة الطفل من منطلق هذا البعد ممكن أن تحدث سمات شخصية معينة، ولا تحدث الإساءة بسبب عامل واحد فقط كالعامل الاجتماعي أو الاقتصادي أو المرضي ولكن يمكن أن تحدث بسبب تداخل وتفاعل تلك العوامل مجتمعة وبشكل تبادلي، وذلك في موقف واحد من مواقف التفاعل الذي ينشأ بين الوالدين والطفل أو القائمين على رعايته، فإنه عندما يبدأ الوالدان اللذان يمارسان الإساءة واللذان قد دخلا في تكوين الأسرة، ومرا في حياتهما التطورية بخبرات أليمة في مرحلة التنشئة قد تجعلهما مهيئين لمعاملة الطفل بأسلوب تعسفي أو بشكل مهمل، بالإضافة إلى عوامل زيادة الضغط سواء الداخلية ضمن نطاق الأسرة أو الخارجية ضمن نطاق المجتمع الكبير قد تزيد من احتمال حدوث الخلاف بين الأبوين والطفل.

التحرش الجنسي بالأطفال

الأسباب ـ التأثيرات ـ الوقاية

التحرش الجنسي بالطفل هو استخدام الطفل لإشباع الرغبات الجنسية لبالغ أو مراهق، وهو يشمل تعريض الطفل لأي نشاط أو سلوك جنسي ويتضمن غالبا التحرش الجنسي بالطفل من قبيل ملامسته أو حمله على ملامسة المتحرش جنسيا. ومن الأشكال الأخرى للاعتداء الجنسي على الطفل المجامعة وبغاء الأطفال والاستغلال الجنسي للطفل عبر الصور الخلاعية والمواقع الإباحية.

وللاعتداء الجنسي آثار عاطفية مدمرة بحد ذاته، ناهيك عما يصحبه غالبا من أشكال سوء المعاملة. وهو ينطوي أيضا على خذلان البالغ للطفل وخيانة ثقته واستغلاله لسلطته عليه.

ما مدى شيوع هذه المشكلة ؟

إن التحرش الجنسي على الطفل هو مشكلة مستترة، وذلك هو سبب الصعوبة في تقدير عدد الأشخاص الذين تعرضوا لشكل من أشكال الاعتداء الجنسي في طفولتهم، فالأطفال والكبار على حد سواء يبدون الكثير من التردد في الإفادة بتعرضهم للاعتداء الجنسي ولأسباب عديدة قد يكون أهمها السرية التقليدية النابعة عن الشعور بالخزي اللازم عادة لمثل هذه التجارب الأليمة، ومن الأسباب الأخرى صلة النسب التي قد تربط المعتدى جنسياً بالضحية، ومن ثم الرغبة في حمايته من الملاحقة القضائية أو الفضيحة التي قد تستتبع الإفادة بجرمه، وأخيرا فإن حقيقة كون معظم الضحايا صغارا ومعتمدين على ذويهم مادياً تلعب دوراً كبيراً أيضاً في السرية التي تكتنف هذه المشكلة، ويعتقد معظم الخبراء أن الاعتداء الجنسي هو أقل أنواع الاعتداء أو سوء المعاملة انكشافاً بسبب السرية أو "مؤامرة الصمت" التي تغلب على هذا النوع من القضايا .

ولكل هذه الأسباب وغيرها أظهرت الدراسات دائماً أن معظم الضحايا الأطفال لا يفشون سر تعرضهم إلى الاعتداء الجنسي، وحتى عندما يفعلون فإنهم قد يواجهون عقبات إضافية، ونفس الأسباب التي تجعل الأطفال يخفون نكبتهم هي التي تجعل معظم الأسر لا تسعى للحصول على دعم خارجي لحل هذه المشكلة، وحتى عندما تفعل فإنها قد تواجه بدورها مصاعب إضافية في الحصول على الدعم الملائم.

كيف يقع التحرش الجنسي؟

هناك عادة عدة مراحل لعملية تحويل الطفل إلى ضحية جنسية:

١ _ المنحى :

إن الاعتداء الجنسي على الطفل عمل مقصود مع سبق الترصد، وأول شروطه أن يختلي المعتدى بالطفل، ولتحقيق هذه الخلوة عادة ما يغري المعتدي الطفل بدعوته إلى ممارسة نشاط معين كالمشاركة في لعبة مثلاً ، ويجب الأخذ بالاعتبار أن معظم المتحرشين جنسياً بالأطفال هم أشخاص ذوو صلة بهم، وحتى في حالات التحرش الجنسي من أجانب (أي من خارج نطاق العائلة) فإن المعتدي عادة ما يسعى إلى إنشاء صلة بأم الطفل أو أحد ذويه قبل أن يحاول الاعتداء على الطفل أو مرافقته إلى مكان ظاهرة برئ للغاية كساحة لعب أو متنزه عام مثلا. أما إذا صدرت المحاولة الأولى من بالغ قريب، كالأب أو زوج الأم أو أي قريب آخر، وصحبتها تطمينات مباشرة للطفل بأن الأمر لا بأس به ولا عيب فيه، فإنها عادة ما تقابل بالاستجابة لها وذلك لأن الأطفال يميلون

إلى الرضوخ لسلطة البالغين، خصوصا البالغين المقربين لهم، وفي مثل هذه الحالات فإن التحذير من الحديث مع الأجانب يغدو بلا جدوى ولكن هذه الثقة العمياء من قبل الطفل تنحسر عند المحاولة الثانية وقد يحاول الانسحاب والتقهقر ولكن مؤامرة السرية والتحذيرات المرافقة لها ستكون قد عملت عملها واستقرت في نفس الطفل وسيحول المتحرش الأمر إلى لعبة "سرنا الصغير" الذي يجب أن يبقى بيننا، وتبدأ محاولات التحرش عادة بمداعبة المتحرش للطفل أو أن يطلب منه لمس أعضائه الخاصة محاولا إقناعه بأن الأمر مجرد لعبة مسلية وإنهما سيشتريان بعض الحلوى التي يفضلها مثلا حالما تنتهي اللعبة.

وهناك للأسف منحى آخر لا ينطوي على أي نوع من الرقة، فالمتحرشون الأعنف والأقسى والأبعد انحرافاً يميلون لاستخدام أساليب العنف والتهديد والخشونة لإخضاع الطفل جنسياً لنزواتهم، وفي هذه الحالات، قد يحمل الطفل تهديداتهم محمل الجد لاسيما إذا كان قد شهد مظاهر عنفهم ضد أمه أو أحد أفراد الأسرة الآخرين، ورغم أن للاعتداء الجنسي بكل أشكاله آثاراً عميقة ومريعة، إلا أن التحرش القسري يخلف صدمة عميقة في نفس الطفل بسبب عنصري الخوف والعجز الإضافي.

٢ _ التفاعل الجنسي :

إن التحرش الجنسي بالأطفال، شأن كل سلوك إدماني آخر، له طابع تصاعدي مطرد، فهو قد يبدأ بمداعبة الطفل أو ملامسته ولكنه سرعان ما يتحول إلى ممارسات جنسية أعمق.

٣ _ السرية :

إن المحافظة على السر هو أمر بالغ الأهمية بالنسبة للمتحرش لتلافي العواقب من جهة ولضمان استمرار السطو على ضحيته من جهة أخرى، فكلما ظل السر في طي الكتمان، كلما أمكنه مواصلة سلوكه المنحرف إزاء الضحية؛ ولأن المعتدي يعلم أن سلوكه مخالف للقانون فإنه يبذل كل ما في وسعه لإقناع الطفل بالعواقب الوخيمة التي ستقع إذا انكشف السر. وقد يستخدم المعتدون الأكثر عنفاً تهديدات شخصية ضد الطفل أو يهددونه بإلحاق الضرر بمن يحب كشقيقه أو شقيقته أو صديقه أو حتى أمه إذا أفشى السر ولا غرابة أن يؤثر الطفل الصمت بعد كل هذا التهديد والترويع، والطفل عادة يحتفظ بالسر دفيناً داخله إلا حين يبلغ الحيرة والألم درجة لا يطيق احتمالها أو إذا انكشف السر اتفاقاً لا عمداً. والكثير من الأطفال لا يفشون السر طيلة حياتهم أو بعد سنين طويلة جدا، بل إن التجربة بالنسبة لبعضهم تبلغ من الخزي والألم درجة تدفع

الطفل إلى نسيانها ولا تنكشف المشكلة إلا بعد أعوام طويلة عندما يكبر هذا الطفل المعتدى عليه ويكتشف طبيبه النفساني مثلا أن تلك التجارب الطفولية الأليمة هي أصل المشاكل النفسية العديدة التي يعانيها في كبره.

أعراض الاعتداء الجنسي ومؤشراته :

هذه بعض المؤشرات التي قد تنم عن احتمال تعرض الطفل للاعتداء الجنسي. من المهم التنبه أنه قد لا تكون هذه الأعراض بالضرورة ناتجة عن اعتداء جنسي ولكن وجود عامل أو أكثر ينم إما عن اعتداء جنسي أو عن مشكلة بحاجة إلى انتباه ومعالجة.

قلما يفصح الأطفال للكبار بالكلمات عن تعرضهم للاعتداء الجنسي أو مقاومتهم لمثل هذا الاعتداء ولذلك فإنهم عادة يبقون في حيرة واضطراب إزاء ما ينبغي عليهم فعله في هذه المواقف، ولتردد الأطفال أو خوفهم من إخبار الكبار بما جرى معهم أسباب كثيرة تشمل علاقتهم بالمعتدى والخوف من النتائج إذا تحدثوا عن الأمر والخوف من انتقام المعتدى والقلق من ألا يصدقهم الكبار.

وإذا لوحظ أي من المؤشرات التالية لدى الطفل فإنها تشير بوضوح إما إلى تعرضه لاعتداء جنسي أو إلى مشكلة أخرى ينبغي الالتفات لها ومعالجتها أيا تكن.

- إبداء الانزعاج أو التخوف أو رفض الذهاب إلى مكان معين أو البقاء مع شخص معين .
- إظهار العواطف بشكل مبالغ فيه أو غير طبيعي .
- التصرفات الجنسية أو التولع الجنسي المبكر .
- الاستخدام المفاجيء لكلمات جنسية أو لأسماء جديدة لأعضاء الجسم الخاصة .
- الشعور بعدم الارتياح أو رفض العواطف الأبوية التقليدية.
- مشاكل النوم على اختلافها : القلق ، الكوابيس، رفض النوم وحيداً أو الإصرار المفاجيء على إبقاء النور مضاءً .
- التصرفات التي تنم عن نكوص : مثلاً مص الإصبع، التبول الليلي، التصرفات الطفولية وغيرها من مؤشرات التبعية.
- التعلق الشديد أو غيرها من مؤشرات الخوف والقلق .
- تغير مفاجئ في شخصية الطفل .

- المشاكل الدراسية والمفاجئة والسرحان .
- الهروب من المنزل .
- الاهتمام المفاجيء أو غير الطبيعي بالمسائل الجنسية سواء من ناحية الكلام أو التصرفات .
- إبلاغ الطفل بتعرضه لاعتداء جنسي من أحد الأشخاص .
- العجز عن الثقة في الآخرين أو محبتهم .
- السلوك العدواني أو المنحرف أو حتى غير الشرعي أحياناً .
- ثورات الغضب والانفعال غير المبررة .
- سلوكيات تدمير الذات .
- تعمد جرح النفس .
- السلوك السلبي أو الانسحابي .
- مشاعر الحزن والإحباط أو غيرها من أعراض الاكتئاب .
- تعاطى المخدرات أو الكحول .

وفيما يلي بعض المؤشرات الجسدية على تعرض الطفل للاعتداء الجنسي، وبعضها ليس ناتجاً بالضرورة عن هذا السبب، مثلا صعوبة الجلوس أو المشي ولكنها في كل الحالات لا يجب أن تهمل :

- صعوبة المشي أو القعود .
- ملابس ممزقة .
- ملابس داخلية مبقعة أو ملطخة بالدم .
- الإحساس بالألم أو الرغبة في هرش الأعضاء التناسلية .
- الأمراض التناسلية، خصوصا قبل سن المراهقة .

ومن أهم أسباب تفشى التحرش الجنسي لدى الأبناء قد يعود إلى :

١-ضعف الوازع الديني لدى الأسرة والأبناء وقلة الوعي الاجتماعي والأسرى .

٢-انعدام التربية المنزلية الصحيحة.

٣-القسوة والغلظة عند الأبوين والخوف منهما .

٤-فساد الأبوين أو أحدهما.

٥-انشغال الأم عن أبنائها عامة وخاصة في وقت المناسبات والزيارات.

٦-وجود الخدم المنحرفين أخلاقياً من سائقين وخادمات.

٧-تعرض أحد الأبناء للاغتصاب قد ينقله بكل بساطة إلى باقي الأسرة أو في الأقارب.

٨-وجود القنوات الجنسية وأفلام الجنس والصور الجنسية في متناوله.

٩-إتاحة الفرصة للأبناء بأن يمشوا مع من هم أكبر منهم سنا .

١٠-إدمان المخدرات والمسكرات .

١١-نوم الأبناء مع الضيوف لضيق البيت وغيره خاصة في الأجازات والمناسبات.

١٢-نوم الزوجين وممارسة حياتهم مع أبنائهم في الغرفة بدعوى أنهم مازالوا صغاراً.

١٣-قضية الإعجاب وتطوراتها السلبية.

١٤-الخلوة للغرباء مع الأبناء .

١٥-عدم الرقابة المدرسية في جميع المراحل.

١٦-عدم التفريق في المضاجع حتى بين الإخوان والأخوات.

١٧-الإهمال فيمن اكتشف أمره وعدم المسارعة في علاجه وتقويم سلوكه.

١٨-التهاون في لبس الضيق والشفاف والقصير للأبناء.

١٩-التهاون في عدم تقويم الميوعة لدى الأبناء.

٢٠-التهاون في الاختلاط وعدم مراقبته ومنعه.

٢١- السماح بخلوة الشباب مع الشابات المحارم وخاصة المحارم.

آثار التحرش الجنسي على الأطفال :

الآثار الجسدية والعاطفية والاجتماعية للتحرش الجنسي على الطفل:

التأثيرات الجسدية :

يشمل الاعتداء الجسدي على الأطفال واحد أو أكثر من الممارسات التالية : الضرب، الخض (الهز بعنف ، العض ، الرفس ، اللكم ، الحرق ، التسميم والخوف بأنواعه) كغمر الرأس في الماء أو الخنف بوسادة أو باليد وغيرها، وتشمل الإصابات البدنية الناجمة عن مثل هذه الاعتداءات الخدوش والجروح والكسور والقطوع والحروق والرضوض والجروح الداخلية والنزف وفي أسوأ الحالات وأقصاها الموت، الأثر المباشر الأول على الطفل المعتدى عليه جسديا هو الألم والمعاناة والمشاكل الصحية الناجمة عن الإصابة البدنية، بيد أن هذا الألم سيمكث داخله طويلا بعد أن تندمل جراحه الظاهرة، وكلما طال وتكرر الاعتداء الجسدي على الطفل، عمقت آثاره النفسية واستفحلت، وإذا تكرر الاعتداء البدني على الطفل بشكل منتظم فقد ينتج عنه عاهات مزمنة منها إلحاق ضرر بالدماغ أو فقدان حاسة السمع أو البصر. ولعمر الطفل المعتدى عليه دور هام في مدى وعمق هذا التأثير، فالرضع الذين يتعرضون لاعتداء بدني هم أقرب للإصابة بأمراض جسدية وتغيرات عصبية مزمنة وفي بعض الحالات القصوى والتي يتسم فيها الاعتداء على الرضيع بالعنف أو بالتكرار لمدة طويلة، فقد تصاب الضحية بالعمى أو الصمم الدائم أو بالتخلف العقلي أو تأخر النمو أو الشلل أو الغيبوبة الدائمة بل وقد يفضي الأمر في حالات كثيرة إلى الموت. وقد أطلق على هذه الأعراض مؤخرا اسم "مرض الوليد المخضوض" لأنها عادة ما تتمخض عن هز الطفل أو خضه بعنف.

التأثيرات العاطفية :

هناك عواقب وخيمة أخرى للاعتداء الجسدي غير المشاكل الجسدية التي يخلفها لدى ضحاياه الأطفال. فقد أظهرت الدراسات التي أجريت على الأطفال المعتدى عليهم وأسرهم أن عدداً كبيراً من المشاكل النفسية التي يعاني منها هؤلاء الأطفال لها صلة مباشرة بالاعتداء الجسدي الذي تكابدوه، فمقارنة بغيرهم يعاني الأطفال المعتدى عليهم مصاعب أكبر في التحصيل الدراسي والسيطرة على الذات وبناء الشخصية وتكوين العلاقات الاجتماعية. وقد برهنت دراسة أمريكية حديثة قارنت بين الأطفال المعتدى عليهم والأطفال الآخرين على النتائج السلبية المزمنة للاعتداء الجسدي، فالأطفال المعتدى عليهم - حسب الدراسة - يعانون مشاكل أكبر في المنزل والمدرسة ومع أقرانهم وفي المجتمع ككل. فنفسية الطفل المعتدى عليه غالبا ما تكون مرتعاً للاضطرابات العاطفية، فهو عادة ما يشعر بنقص الثقة في النفس والإحباط وربما انعكس ذلك في مظاهر نشاط مفرط أو قلق زائد. والكثير من هؤلاء الأطفال الضحايا يبدون سلوكاً عدوانياً تجاه أشقائهم أو الأطفال الآخرين. ومن المشاكل العاطفية الأخرى التي قد

يعانيها هؤلاء الأطفال الغضب والعدوانية والخوف والذل والعجز عن التعبير والإفصاح عن مشاعرهم. أما النتائج العاطفية طويلة الأمد فقد تكون مدمرة لشخصية الضحية، فهذا الطفل حين يكبر عادة ما يكون قليل الثقة بذاته، ميالا للكآبة والإحباط، وربما انجرف في تعاطى الكحول أو المخدرات، فضلاً عن تعاظم احتمالية اعتدائه الجسدي على أطفاله في المستقبل.

التأثيرات الاجتماعية :

ربما كانت التأثيرات الاجتماعية على الأطفال المعتدى عليهم جسدياً هى الأقل وضوحاً، وإن كانت لا تقل عمقا أو أهمية. وقد تشمل التأثيرات الاجتماعية المباشرة عجز الطفل عن إنشاء صداقات مع أقرانه وضعف مهاراته الاجتماعية والمعرفية واللغوية وتدهور ثقته في الآخرين أو خنوعه المفرد للشخصيات التي تمثل سلطة لديه أو ميله لحل مشاكله مع الآخرين بالعنف والعدوانية، وبعد أن يكبر هذا الطفل ترتسم التأثيرات الاجتماعية لتجارب الاعتداء المريرة التي تعرض لها في طفولته على علاقاته مع أسرته من جهة ومع المجتمع ككل من جهة أخرى. فقد أظهرت الدراسات أن فرص المعتدى عليهم صغارا أوفر في متاهات الأمراض العقلية والتشرد والإجرام والبطالة كبارا ولكل ذلك بالتالي آثاره المادية على المجتمع ككل لما يقضيه من تمويل وإنشاء برامج الرعاية الصحية والتأهيل والضمان الاجتماعي لاستيعاب هؤلاء، فذلك هو الثمن الباهظ الذي يدفعه المجتمع لتقاعسه عن التصدي للشذوذ الجنسي الذي يعد سرطان العصر الجيد، والذي اخترق مجتمعاتنا العربية المحافظة وأصبح وجوده أمراً واقعاً يستلزم تضافر الجهود من أجل مواجهته واقتلاعه من جذوره، وألا ندفن رؤوسنا في الرمال مثل النعام ونلجأ إلى المسكنات والحلول الوقتية التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

الإسلام والتحرش الجنسي بالأطفال

إن أطفالنا في الأعم الأغلب يبدأون في قراءة وحفظ القرآن الكريم أو جزء منه وهم في سن صغيرة، ولقد تحدث القرآن الكريم بوضوح عن النطفة من أين أتت وكيف تتكون في رحم المرأة، وتحدث عن خلق الإنسان من أخلاط النطفتين من الرجل والمرأة، وتحدث عن الجماع "الرفث" ليلة الصيام، وتحدث عن المحيض واعتزال النساء فيه، وتحدث عن حمل الولد في بطن أمه ومدة إرضاعه، وعن الزنا، وعن إتيان الرجال شهوة من دون النساء، وغير ذلك ، قال تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ

لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٧)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢)

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (الأعراف:٨٠-٨١)

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء:٣٢)

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (المؤمنون:١٣)

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف:١٥)

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (الإنسان:٢)

لقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك وأكثر منه، فكيف يمكن للولد أن يفهم معنى هذه الآيات إذا لم توضح له وتشرح من قبل الوالدين والمربين ؟؟

أما في السيرة النبوية نجد أنها عالجت قضية التحرش الجنسي : عن عمرو بن شعيب إن جده رضى الله عنهم قال : قال: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع" رواه أحمد وأبو داود بإسناد حسن.

هذا الحديث من الإبداع بمكان، بل هو مدرسة تربوية كاملة، ولي فيه هذه الوقفات السريعة:

- يعرف هذا الحديث الأطفال من أول الأمر أن هناك حلالا، وأن هناك حراما، فربي الطفل على التربية الإسلامية منذ نعومة أظفاره .
- مسألة التفريق في منامات الأطفال هذه هي من باب سد ذرائع الشر، وفي ذلك إشعار بأهمية صيانة أبنائنا، وإغلاق الطريق التي يمكن أن تفضي بهم إلى الوقوع في

المحرم، فإن تشارك الأولاد في فراش واحد يمكن أن يؤدي بطريق غير متعمد أو بدافع الفضول إلى محاذير يحسن تجنبها، ومن مقاصد الشريعة سد أبواب الشر، ومنع ما يفضي إلى الحرام.

● جمع هذا الحديث بين تربية الإيمان والسلوك وإغلاق باب الشر في وقت واحد، إذ أمر أن نربي أبناءنا على الصلاة ونحثهم عليها، والصلاة هنا الفريضة، كما أنها النهي عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى : ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت:٤٥)

فهذه هي تربية الإيمان والسلوك، والتفريق في المضاجع هو سد باب الشر، وهذان الجناحان هما أكثر ما يحتاجه أبناؤنا في مثل هذه السن .

"سُدّ باب الشرِّ، واربط بالله تعالى، وربِّ على الإسلام" .. هذه رسالة المربين والوالدين.

● جعل الحديث مسألة التفريق هذه من الضرورة بحيث ربطها بالصلاة، وهو ما يؤكد أهميتها ومكانتها .

● هذا الحديث يبث في الأطفال إحساسهم بقيمتهم، ويبين لهم أن لهم قدراً ومنزلة عند بلوغهم هذه السنّ، وهو ما يحقق كياناتهم وثقتهم بنفسهم منذ الصغر .

● أخيراً .. مسألة التفريق هذه هي حق من حقوق الأبناء على آبائهم، فواجب على الآباء التفريق بين أبنائهم في مضاجعهم، لغرس العفة والاحتشام والآداب والالتزام في نفوسهم منذ الصغر.

على الآباء والمربين ألا تغفل عيونهم عن مراقبة أولادهم وملاحظتهم، لا نقول أن نحرمهم حرية الحركة والتعبير عن الذات، لكنها عين الحارس والمتابع، والملاحظ لكل ما يحدث مع أبنائه، سواء من اختلاطهم بمن حولهم، أو من تغيرات تظهر على الأبناء، فإن بدا من ذلك شيء وجب علاجه قبل أن يكبر ويستفحل ويستشري، وهذه هي المسئولية التي كلف الله تعالى بها كل أب ومرب، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله «يقول: " كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم.

وأي رعاية أوجب من هذه ؟؟

إن الاعتداء الجنسي على الأطفال خطر محدق، وإذا كان هذا الاعتداء من قريب فإنه عادة ما يصاحبه تهديد ووعيد حتى لا يفشي الصغير السر، كما أن الاعتداء غالباً ما يكون متكرراً، نظراً لسهولة تواجد هذا القريب في محيط الطفل، وبذلك قد يستمر الخطأ ربما لوقت طويل، وتظهر آثاره على حالة الطفل النفسية، من اضطرابات سلوكية، وكوابيس، وضعف شهية، وميل للعزلة، وضعف وتراجع دراسي، وأكثر من ذلك تتشوه شخصيته تشويهاً قد يلازمه طوال حياته، ويصعب علاجه والتخلص تماما من مفاسده، وقد يستمر الطفل في ممارسة الخطأ حتى يكبر بل ويشيخ.

لقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية : (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ قوا أنفسكم يقول : علموا بعضكم بعضا ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله).

وقوله : وأهليكم نارا يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار"

ويقول الإمام القرطبي :

"قال مقاتل: ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه، فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

إن التحرش الجنسي سببه الأول الوالدان والمربون، وهم المسئولون الأوائل في أن يقوا أنفسهم أولاً نارا سببها تقصيرهم في حق أطفالهم، وذلك عبر أن ينشئوا أطفالهم وفق منهجية الإسلام وإيمانياته وأخلاقه، فيدخلوهم الجنة، ويدخلوا بسببهم الجنة.

هم أطفال في ربيع العمر، لا يفقهون شيئاً في الحياة، ولا يفكرون إلا في شيئين اللعب والحلوى. تلمس البراءة في كل سكناتهم وحركاتهم، ورغم كل هذا فهناك أياد تنتهك تلك البراءة وتتعدى على أجساد ومشاعر أولئك الأطفال دون أي شعور بالألم النفسي أو حتى تأنيب الضمير.

نحو وقاية الأطفال من ظاهرة التحرش الجنسي

إذا وقع التحرش الجنسي بالأطفال يجب على الآباء اتباع الخطوات التالية :

١-ينبغي فحص المعتدى عليه طبيا للتأكد من سلامته من الالتهابات ومعالجتها إن وجدت في أسرع وقت ممكن.

٢-مساعدته من الناحية النفسية وذلك بعرضه على طبيب نفسي أو معالج نفسي.

٣-فحص الفتاة التي تعرضت للاعتداء للتأكد من عفتها ومساعدتها على تخطي الأزمة وتهيئتها للزواج بشكل اعتيادي.

٤-تجنب الاستهزاء بمن وقع الاعتداء عليه .

٥-تجنب إطلاق الصفات على من وقع عليه الاعتداء كالجبان والضعيف... الخ من الصفات التي تعمل على تحطيمه.

٦-مساعدة الضحية على توضيح ما حدث له والاستماع له بكل هدوء وضبط أعصاب كي يطمئن الطفل ويتحدث بحرية تامة.

٧-تجنب التشهير بمن وقع عليه الاعتداء .

٨-علاج الموقف بالمنطق والحكمة والروية إن وقع اعتداء على الأبناء لا سمح الله بعيداً عن الاندفاع والتهور .

٩-توفير النشاطات المختلفة لمن وقع عليه الاعتداء وذلك لإبعاده عن التفكير واجترار الحادث.

١٠-حمايته من التعرض للإصابة بالكآبة والخوف والوسواس وكره الحياة وغيرها من الأمراض النفسية وذلك عن طريق تخفيف الصدمة عنه.

١١-ينبغي التأكد من ادعاء الطفل في هذا المجال قد يكون خياله الواسع هو الذي يدفعه لسرد تلك الأحداث.

١٢-يمكن تبديل مكان سكن العائلة إن أمكن وذلك للتخلص من أقاويل الآخرين وحماية الطفل من الصراعات النفسية التي تسببها له تلك الأقاويل.

١٣-تدريب الطفل على ممارسة تمارين الاسترخاء وتمارين التنفس للتخلص من التوتر الذي يعاني منه.

١٤-معاقبة المعتدي بشكل قانوني كي لا يتكرر منه ذلك السلوك المشين.

كما يجب اتباع بعض التعليمات التي تحمى الأبناء من التحرش الجنسي مثل :

١-تعليم الأطفال ما الفرق بين التعامل والتفاعل العاطفي مع (الأب والأم والأخوات) والأغراب .

٢-يجب عدم ترك الطفل مع الأغراب أو الأقارب بدون رقابة ومتابعة يومية تفصيلية عما تم في الوقت الذي قضاه مع الأغراب والأقارب وذلك عن طريق فتح حوار مع الطفل.

٣-تجب طمأنة الأطفال بأن الوالدين موجودان دائما لحمايته من أي تهديد من أي شخص أيا كان نوع هذا التهديد.

٤-يجب أن يتعلم الطفل أنه لا يوجد شيء يفرض عليه أن يتفاعل عاطفياً مع أي شخص حتى ولو كان من الأقارب أو الأصدقاء للعائلة، ونقصد به التفاعل العاطفي الحسي، مثل الاستجابة إلى التقبيل، الاحتضان، أو المداعبة بطريقة لا تريح الطفل.

٥-يجب أن نرفع من ثقة الطفل بنفسه وأنه عنده القدرة دائماً للرفض والهروب وطلب المساعدة بصوت عال وواضح، حينما يتعرض لأي محاولة للتحرش به .

ومن الطبيعي أن الوقاية خير من العلاج وتتم وقاية الأبناء وحمايتهم من شرور الوقوع بهذه المخاطر بعدة وسائل سأذكر منها ما يلى :

١-ينبغي توعية الأطفال منذ الصغر بشتى الطرق والوسائل المتاحة والممكنة .

٢- مراقبة الكبار اللصيقة للأطفال أثناء لعبهم بعيدا عن التسلط.

٣-ينبغي التأكد من نوعية علاقة الكبار بالأطفال وسلامة نيتهم مهما كانت قرابتهم للطفل.

٤-ينبغي على الأمهات أخذ الحيطة وحماية أطفالهن من المنحرفين وإن كانوا من أفراد العائلة.

٥- مراقبة سلوك الخدم وعلاقتهم مع الأطفال.

٦-مراقبة مراكز الإنترنت العامة من قبل الجميع إن كانوا مربين أو سلطات أمن أو غيرها كي لا يستغل الأطفال بتدريبهم على ممارسات إباحية أو استدراجهم لها.

٧-ينبغي إحاطة الطفل بالحب والحنان وبأجواء التعاون والاطمئنان وإتاحة الفرصة لهم للإفصاح عما يعانون منه.

٨-حماية أطفال المدارس من الممارسات السلبية وذلك بعدم تركهم في المرافق مدة طويلة أو في الغرف المهملة والفارغة كي لا يجدوا فرصة لممارسة تلك السلوكيات .

٩-مراقبة الأطفال في ذهابهم وإيابهم إن كان للمدرسة أو إلى أماكن أخرى.

١٠-منع الأطفال وتحذيرهم من الذهاب إلى أماكن مهجورة كي لا يجد المنحرفون فرصتهم للاعتداء عليهم.

١١-التفريق بين الأطفال أثناء النوم قدر الإمكان وإن كان لابد منه ينبغي مراقبتهم.

١٢-الحذر من ممارسة الوالدين العلاقة الجنسية قريبا من الأطفال أو حيث يكون بإمكانهم سماع ما يدور بين الوالدين أثناء ذلك.

١٣-تشجيع الأبناء على الالتزام بتعاليم دينهم وأخلاق مجتمعهم معنوياً ومادياً وذلك بوضع جوائز لمن يلتزم بتلك الأخلاق الراقية وحسن التصرف والسلوك.

١٤-ينبغي على وسائل الإعلام الحد من الوسائل التي تساعد على الانحراف من أفلام ومسلسلات وصحف وكتب و أقراص مضغوطة.

١٥-توفير الشروط المطلوبة للموظفين العاملين في مراكز حماية الناشئة كي لا يقع عليهم الضرر من المنحرفين المتربصين بهم.

١٦-ينبغي تعاون المؤسسات المسئولة في مراكز الصحة النفسية والخدمة الاجتماعية لنشر ثقافة وتوعية تساعد على حماية الناشئة.

١٧-تطوير ورفع مستويات العاملين في المؤسسات التعليمية لتقديم التوجيه والإرشاد المناسب للناشئة بشكل عام.

١٨-افتتاح مراكز مختلفة للتوعية ورعاية الناشئة وتوجيه نشاطاتهم بالشكل الصحي وذلك لحمايتهم من ممارسة السلوكيات المنحرفة والمختلفة.

١٩-توزيع كتيبات على الأسر تتناول الأمور الجنسية بشكل علمي وأسلوب مقبول لغرض التوعية وحماية الأطفال من هذه المخاطر.

توصيات لمواجهة ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال

لمواجهة ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال وفي ضوء هذا البحث أوصي بما يلي:

١-إجراء مزيد من الدراسات والبحوث حول ظاهرة العنف والإيذاء في كافة المجتمعات الإسلامية وحصر الحالات ومدى تفشيها في المجتمع.

٢-إقامة اللقاءات التربوية مع مديري المدارس على مستوى إدارات التعليم بكيفية التعامل مع الحالات التي ترد إليهم واتخاذ الإجراءات السليمة حيالها.

٣-الاستفادة من المراكز الاجتماعية بالأحياء لتوعية الأسر لحالات الإيذاء وكيفية مواجهتها.

٤-التوعية بدور ومهام المؤسسات الاجتماعية المتخصصة التي تتعامل مع حالات العنف.

٥-تفعيل دور الإعلام التربوي المرئي لزيادة الوعي لدى أفراد المجتمع (تجاه حالات العنف والإيذاء).

٦-تشكيل لجنة متخصصة ومؤهلة على مستوى إدارات التعليم لاكتشاف ومتابعة حالات الإيذاء والتواصل مع الجهات ذات الاختصاص.

٧-التأكيد على أن القرآن الكريم والنهج النبوي هو الأصل في تربية الأطفال وطرق التعامل معهم.

٨-فتح حوار مفتوح بين الأهل والأطفال وتعويدهم على المصارحة.

٩-تثقيف الأطفال للخطر القادم من الخارج وعدم السماح لهم بالخروج بمفردهم.

١٠-توعية الأسرة بمؤشرات تعرض الطفل للإيذاء حتى يمكن ملاحظتها على الطفل في حالة تعرضه لذلك.

١١-توعية وتثقيف الأسرة بتجنيب إهمال الطفل سواء في الغذاء أو العلاج أو التعليم أو سبل رعاية الطفل المختلفة وتوضيح أهمية الاهتمام به ورعايته الرعاية السليمة.

١٢-تفعيل دور الأخصائي الاجتماعي وتأهيله للتعامل مع حالات الإيذاء.

١٣-إيجاد مفهوم محلي لثقافة العنف يتناسب مع ثقافتنا وعاداتنا.

١٤-توعية المجتمع بأن الإسلام ينادي بمؤازرة الضعيف ولابد ألا نقف صامتين أمام العنف وبخاصة في السن المدرسية مهما كانت صلة المعتدى بالمعتدى عليه.

١٥-أهمية تفعيل الأنظمة التي أعدت حالياً لحماية الأسرة في أسرع وقت ممكن لما للنظام من دور قوي في توضيح آليات التعامل مع هذه الحالات.

١٦-التشجيع على إنشاء مكاتب للاستشارات الأسرية على مستوى الأحياء تتولى الرد على الحالات المحتاجة على مدار ٢٤ ساعة.

١٧-تأهيل العاملات في الميدان التربوي لالتقاط الحالات التي يقع عليها العنف المدرسي واكتشافها بشكل مبكر.

١٨-التأكيد على أهمية الدور الوقائي من خلال تفعيل برامج التوعية والإرشاد للتعريف بهذه الظاهرة وبآثارها المدمرة والعمل على الحد منها.

١٩-تشكيل فريق بحث ميداني يتكون من طبيب عام ونفسي وباحث اجتماعي لعمل زيارات للمدارس واكتشاف حالات الإيذاء ومعالجتها.

٢٠-الإعلان عن الهيئات الحكومية المتخصصة في مجال حقوق الأفراد وحمايتهم والتعريف بدورها ومدى صلاحيتها.

■ المراجع

١ -سمر عبده، العنف والاعتداء على الأطفال، دار الشروق للنشر، بيروت، ٢٠٠٥

٢-إسماعيل خليل الدسوقي، توفيق أحمد حجازي ، سلوك الأطفال الجانحين، دار الفكر العربي، ١٩٩٦م.

٣-فاتن عبد الرحمن الطنباري، التحرش الجنسي وتأثيره على الأطفال، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ٢٠٠٣م.

٤-عادل بدر، الاستغلال الجنسي والجسدي للأطفال، المؤتمر السنوى الرابع، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ٢٠٠١م.

٥-سامية محمد الساعاتي، وقاية الأطفال من سوء المعاملة ، دار الجامعات العربية للنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٦-إيمان السيد، التحرش الجنسي بالأطفال، دار القلم للنشر، بيروت ، ٢٠٠٥ .

٧-فتحية رشدي صادق، اغتصاب الأطفال جريمة فى تزايد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٨-أحمد جمال أبو العزايم، العنف الجنسي ضد الأطفال ، مجلة النفس المطمئنة، العدد ٦٢ ، أبريل ٢٠٠٢م.

٩-إدريس ولد القابلة، اغتصاب الأطفال ، مجلة الحوار المتمدن ، العدد ٧٤٣، يوم ١٢/٢/٢٠٠٤م.

١٠-من مواقع الإنترنت ، مركز الدراسات للمركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد الأسرة، ٢٠٠٧م.

❖❖❖❖